

التشكيلي الفلسطيني منصور: الإسرائيليون منعوا رسم البطيخ



يوسف الشايب "فنون الخليج"

شكل عام 1972 بداية مرحلة جديدة في مسيرة الفن التشكيلي الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة، إذ يشكل بداية فعلية للفن التشكيلي الفلسطيني الحديث، انطلقت مع معرض الفنان الراحل عصام بدر الشخصي الأول في القدس، الذي اجتذب إليه المهتمين بالفن الفلسطيني.

يتذكر سليمان منصور تلك الفترة، ويقول: «التقينا في هذا المعرض، واكشفنا أن قرابة العشرين فناناً تشكيليًا يعيشون في الأراضي المحتلة عام 1967 (الضفة الغربية وقطاع غزة)، ومن هنا انطلقت فكرة تأسيس اتحاد أو رابطة للفنانين التشكيليين، رفضت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منحها ترخيصاً».

لكن منصور وبدر، وغيرهما، أصروا على تأسيس الرابطة التي نظمت أول معرض مشترك للتشكيليين في القدس عام 1975، انتقل بعدها إلى رام الله، ونابلس، والناصر، وغزة، وكان بمثابة أول اتصال ما بين الفنان والجمهور. يقول منصور: «في نابلس أقيم المعرض في مبنى البلدية، ولكثافة الجمهور اضطرت البلدية للاستعانة بعناصر من الشرطة لتنظيم دخول الوافدين إليه. فقد عبرت اللوحات المعروضة عن هموم الشعب الفلسطيني وطموحاته باللون والخط، خاصة في حضور الفنانين أنفسهم، الذين خاضوا نقاشات معمقة مع الجمهور، تركت أثرها عليهم، وهم من آمنوا بأنهم رأس الحربة في مقارعة الاحتلال، وأنهم لا بد أن يصلوا بلوحاتهم إلى كل منزل أو غالبية المنازل الفلسطينية».

ويروي منصور لـ«الشرق الأوسط» تفاصيل تلك المسيرة التي تنشر للمرة الأولى فيقول: «قررنا طباعة أعمالنا في ملصقات (بوسترات)، وكانت خطوة ناجحة، بحيث وصلت أعمالنا إلى كل بيت تقريباً، بل وجرى وضع إطارات لها وعرضت في أماكن بارزة في المنازل والمحال التجارية».

هجمة على الفن

وبعد أن تنبّهت سلطات الاحتلال الإسرائيلي لتأثير تلك الملصقات الفنية، نظمت حملات عدة لمصادرتها، بل وفرضت غرامات على من يقوم ببيعها أو توزيعها.

وفي مرحلة لاحقة، بدأت قوات الاحتلال باقتحام المعارض ومصادرة ما فيها من، وخصوصاً في «غاليري 79» في رام الله القديمة، المعروفة بـ«رام الله التحتا». وكان قد أشرف عليه، إضافة لمنصور، كل من الفنان الراحل عصام بدر، والفنان نبيل عناني. وخلال فترة قصيرة، باتت هذه المعارض هدفاً للاحتلال، الذي راح يصادر ما لا يروق له من أعمال فنية، ولم يكن هناك قانون ينظم هذه المصادرات في تلك الفترة، بل كانت تخضع لمزاج جنود الدورية الذين يداهمون المعارض.

ولم تكتفِ سلطات الاحتلال وقواتها بذلك، وداهمت منازل الفنانين الفلسطينيين وصارت أعمالهم، كما حصل مع الفنانين كامل المغني وفتحي الغبن، وغيرهما، قبل عرضها على الجمهور في أغلب الأحيان.

إغلاق الغاليري

في مطلع ثمانينات القرن الماضي، أقام سليمان منصور معرضاً شخصياً له في «غاليري 79»، فاقتحمت قوات الاحتلال المعرض، وصادرت لوحاته وأغلقت.

ويروي منصور حكاية مثيرة للدهشة في تلك الفترة، فيقول: «تم استدعؤنا من قبل سلطات الاحتلال، أنا، ونبيل عناني، وعصام بدر، وقرأوا علينا أوامر تتعلق بالممنوعات الإسرائيلية المتعلقة باللوحات والأعمال الفنية الفلسطينية، ومن بينها حظر رسم ألوان العلم الفلسطيني (الأبيض، والأسود، والأحمر، والأخضر)، وأكادوا لعصام بدر، الذي عقب على قراراتهم، أن أي لوحة تتضمن هذه الألوان حتى لو كانت تعرض بطيخاً، سوف تجري مصادرتها لتضمنها ألواناً ممنوعة. كما منعنا من إقامة أي معارض دون تصريح من رقابة الاحتلال، التي تدرّعت بقانون من يعود لحقبة الانتداب البريطاني على فلسطين، ما عقد عملنا كفنانين، لكننا تحايلنا على الأمر من خلال العرض في البلديات، التي كانت ذراعاً لمنظمة التحرير الفلسطينية في معظمها».

وأضاف منصور: «ساهمت هذه القرارات التعسفية في استقطاب الكثير من الفنانين العالميين الذين عبروا عن تضامنهم معنا، وأقمنا معارض مشتركة تحت عنوان (فليسقط الاحتلال)، واستمرت هذه الحالة حتى الانتفاضة الأولى عام 1987».

الانتفاضة الأولى

وأشار منصور إلى أن الفن لم يلعب دوراً بارزاً خلال الانتفاضة الأولى التي اندلعت في نهاية 1987، ولم يعد «رأس الحرية»، كما كان، حيث «اكتشفنا أن المشاركين في المظاهرات ضد الاحتلال في تلك الفترة، لا يعرفون الكثير عنا، بل إن بعضهم لا يعرفنا أصلاً، ما أصابنا بحالة من الإحباط، لكننا شعرنا بنوع من الحرية لنصنع ما نريد لا ما يريده الجمهور».

وأضاف: «في ظل مقاطعة المنتجات الإسرائيلية في تلك الفترة، قررنا كفنانين مقاطعة مواد التلوين، واعتمدنا في أعمالنا الفنية على مواد خام من منتجات الأرض الفلسطينية. اتجهت أنا نحو الطين الذي شكل الكثير من عمالي، في حين اتجه نبيل عناني إلى الجلود والحناء، وتيسير بركات إلى الخشب، وراح يستخلص ألوانه من قشر الجوز والرمان وغيرهما. أما فيرا تماري، فعملت في الخزف، وانسجم الجميع مع فلسفة الانتفاضة ومتطلبات مقاطعة منتجات الاحتلال».

ورأى منصور أن الفن التشكيلي الفلسطيني في تلك الفترة، كان الأكثر تعبيراً عن الانتفاضة، مع عدم التقليل من أهمية صنوف الفنون والآداب الأخرى، من شعر ورواية ومسرح، وغيرها، على الرغم من الحضور المهم للأغنية أيضاً.

جمل المحامل

وكشف منصور عن أن اللوحة الأصلية لـ«جمل المحامل»، الشهيرة، والتي رسمت في عام 2005، وبيعت منها أخيراً، نسخة ثالثة

بمبلغ 257 ألف دولار، خلال مزاد «كريستيز» العالمية للفنون الحديثة والمعاصرة، الذي احتضنته دبي، وهو رقم قياسي وسابقة للفن التشكيلي الفلسطيني.

وكانت النسخة الأصلية من «جمل المحامل»، التي رسمها منصور في عام 1973، فقدت في مكتب في شارع صلاح الدين في القدس القديمة.

وأضاف منصور: «رسمت نسخة ثانية في عام 1975، وبيعت في معرض بلندن لصالح الرئيس الليبي السابق معمر القذافي، عبر سفير بلاده في لندن آنذاك، ولا أعرف مصيرها الآن. أما العمل المباع في (كريستيز) بدبي، فهو النسخة الثالثة من (جمل المحامل)، وقمت بإضافة بعض التغييرات الطفيفة على النسخة الأصلية، من بينها رسم لكنيسة بالقرب من قبة الصخرة».

وعلمت «الشرق الأوسط» أن المبلغ الذي دفعه السفير الليبي، آنذاك ساهم بشكل كبير في توفير مصاريف حفل زفاف منصور نفسه، وأن اللوحة أصبحت موضوعاً لفيلم وثائقي يعمل عليه الفنان التشكيلي الفلسطيني خالد الحوراني، ويسعى من خلاله إلى توثيق رحلة البحث المتواصلة عن هذه اللوحة، وما إذا أتلقت في قصف قصور القذافي، أم سرقت، أم أنها لا تزال موجودة في مكان ما في هذه القصور، وإن لم يفض البحث بعد إلى نتائج واضحة.

وأشار منصور إلى أن اللوحات التي تتحول كأيقونات يقوم مبدعوها برسم نسخ متعددة منها، وهذا لا يقتصر على «جمل المحامل»، بل هو عرف دولي سار عليه كبار الفنانين منذ قرون، مؤكداً أن شهرة هذه اللوحة فاقت شهرته كفنان، وأنها باتت علامة فارقة في تاريخ الفن الفلسطيني الحديث، كونها تعكس بشكل أو بآخر، قضية فلسطين، وخصوصاً قضية القدس، وإن كنت، من ناحية فنية، رسمت ما هو أفضل منها بكثير على مدار السنوات الماضية. وفقاً لما نشر بصحيفة الشرق الأوسط.

<http://artsgulf.com/625001.html> : وصلة دائمة لهذا المحتوى

الإثنين , 8 رمضان 1442 هـ

١٩ أبريل 2021 م